بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 21/10/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (25)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في تفسير بعض آيات من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 65].

العلم علمان علم تأخذه بالقراءة والكتابة، وعلم تأخذه بزيادة الصلة بحضرة الله تعالى وهو ما يسمى عند أهل التربية: **العلم اللدني** ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، فهو علم القراءة باسم الله.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: 1-4].

ونحن بحاجة إلى هذين العلمين

عَنِ الْحَسَنِ البصري قَالَ: ((**الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ**)) [رواه الدارمي وابن أبي شيبة].

أما أن نعلم ونقرأ وندرس ونحفظ ونقدم امتحانات وننجح ثم لا نطبق بل نجد مخالفة لما نعلم فهذا العلم سيكون حجة لله تعالى على ابن آدم.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: «**كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟**» **قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَاظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا،**

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا. فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلَاثًا [الطبراني والبيهقي].

قد يصل الإنسان إلى علم اليقين ثم يرتقي فيصبح علمه رؤية وشهوداً وهذا علم أقوى من ويسمى علم عين اليقين.

للعلم اللدني مظاهر منها:

1-أن توافق أمر الله تعالى ونهيه:

ترى إنساناً لا يعرف حكم الشرع في مسألة لكنه يختار ما يختاره الشرع، فإذا سأل عن حكم ما فعله يجد نفسه قد وافق كلام الله.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ((وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ:** ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125].

وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ.

وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾، **فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ))** [البخاري ومسلم].

لو لاحظنا كلام سيدنا عمر وأدبه فسيدنا عمر قال: **(وافقت ربي)** مع أن الكلام يجب أن يكون (وافقني ربي) لكن قال ذلك أدباً مع الله وإظهاراً أن الأمر أمره.

وقد عد العلماء لموافقات سيدنا عمر فكانت أكثر من أربعين موافقة، وهذا كله من العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى لسيدنا عمر رضي اله عنه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»** [البخاري ومسلم].

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: **تَفْسِيرُ «مُحَدَّثُونَ»: مُلْهَمُونَ.**

2- الفراسة:

- قد ترى إنساناً لا يريد أن يقوم بمشروع أو أمر؛ لأن قلبه لا يطمئن له فتراه مع الوقت يتبين له أن فيه شر كبير.

- قد تجد إنساناً ينظر إلى إنسان فلا يرتاح للتعامل معه وبعد حين يتبين له أن هذا إنسان محتال، فإذا سئل: كيف علمت؟ فيقول: لا أعرف لكن لم أرتح له ولم ينشرح صدري له.

- أو قد يقول: رأيت في وجهه شيء، فإذا سئل عنه؟ قال: لا أعلم.

- تتكلم أمك بالهاتف مع صديقك بسلام فقط، فإذا أنهيت الكلام معه، تقول لك: يا بني لا تصاحب هذا، فإذا سألتها عن السبب؟! قالت: لم أر عليه شيئاً، لكنني لم أرتح له، وبعد حين تجد أن كلامها صحيح.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: **دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه -وكنت رأيت امرأة في الطريق تأملت محاسنها- فقال عثمان رضي الله عنه: يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهر في عينيه. فقلت: أوحيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: لا.. ولكن تبصرة، وبرهان، وفراسة صادقة** [مدارج السالكين].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ**»، **ثُمَّ قَرَأَ**: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75] [الترمذي].

3- الرؤيا الصادقة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ...**» [مسلم].

4- أن يكون الكلام الذي ينطق به كلاماً فيه تأثير بالقلوب:

✓ قال ابن عطاء: (**خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك**) [الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري].

فالله طلب منا فعل الخيرات فنقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**» [الترمذي].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**» [مسلم].

اللهم أعنا على غض البصر.

اللهم أعنا على إتقان الفرائض، وأداء النوافل، وترك الحرام.

اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو يَقُولُ: «...**رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا...**» [الترمذي].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» [الإمام أحمد وأبو داود].

✓ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ((**لَيْسَ يَوْمًا يَأْتِي مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَإِنِّي عَلَى مَا يُعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ، فَإِنِّي لَوْ قَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)) [كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا]

✓ يقول مالك بن دينار: ((**إذا رأيت قساوة في قلبك ووهناً في بدنك وحرماناً في رزقك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك**)) [فيض القدير للمناوي].

✓ قال بعض الصالحين: ((**من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار**)).

أسباب الحصول على العلم اللدني:

1- **الإكثار من ذكر الله تعالى:** فمن أدمن قرع الباب وَلَجَّ وَلَجَ.

تصبح إذا نظرت أو تكلمت نظرت بنور الله

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، قال: ((**إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك**)) [ابن أبي شيبة وابن المبارك حلية الأولياء].

قَالَتْ السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**» [البخاري ومسلم].

يقول ابن القيم الجوزية: ((**من منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الذكر وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتَّجِرون، وإليها دائماً يترددون، والذكر منشور الولاية الذي من أُعطيه اتصل ومن مُنِعَهُ عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعِمارةُ ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفؤون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب**)) [مدارج السالكين لابن القيم].

قطاع الطرق: هم الشهوات والمغريات والملهيات والمخيفات والنزوات... ونقاتلهم بالذكر فإذا كان قلبك موصولاً بحضرة الله وكان وردك بالذكر فعالاً تستطيع أن تثبت في هذا الطريق.

من كان ينادي صديقه فيقول له: يا أحمد.. يا أحمد.. يا أحمد.. فمع التكرار سيستحيي منك ويجيبك حتى لو كان بينك وبينه خصام، ولله المثل الأعلى فإذا فَرَّغَ العبد وقته وعقله وخلاياه وثابر على ذكره فجعل لنفسه وقتاً مخصصاً ولو كان نصف ساعة في النهار ليجلس ويذكره فيناديه باسمه الأعظم الله.. الله.. الله.. الله.. فمهما كان فاعلاً فسيستجيب له جل وعلا، وسيأتيك يوم وتسمع فيه لبيك عبدي، بشرط أن تبقى على باب الملك تقرع بابه وتستأذنه ليدخلك من حيث أدخل عباده الأبرار، فإذا فتح لك الباب فسترى ما لا ترى وستسمع ما لا تسمع وستعطى ما لا يخطر لك على بال.

فلنذكر كلنا الله تعالى ولنلتجئ إليه حتى يصير إيماننا حقيقياً وهو إيمان عين اليقين فإذا قلنا في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهمنا أن خطابنا لرب العزة، ونستشعر كلامنا في خطاب رسول الله (**السلام عليك أيها النبي**)، وفي تسليمنا على الصالحين بقولنا: (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**) ثم تسلم على الملائكة بقولك: (**السلام عليكم ورحمة الله**).

وكما قالوا: **الصلاة معراج المؤمن**.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**إِذا قامَ العَبْدُ فِي صَلاتِهِ ذُرَّ البِرُّ على رَأسِهِ حَتَّى يَرْكَعَ فإذَا رَكَعَ عَلتْهُ رَحْمَةُ الله حَتَّى يَسْجُدَ والساجِدُ يَسْجُدُ على قَدَمَي الله تَعالى فَلْيَسأَلْ ولْيَرْغَبْ**» [السيوطي في الجامع الصغير].

كل العبادات فرضت في الأرض إلا الصلاة فرضت في السماء وبدون واسطة

وقد جاء في الأثر: **(من أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ويده)**.

2- حفظ الجوارح عن المحرمات:

بألا تذهب باتجاه الحرام فلا تأخذ مالاً حراماً، ولا تلمس أحداً بالحرام، ولا تؤذي أحداً بالحرام، وعينك لا تنظر إلى الحرام، وجوفك لا يدخل فيه شيء من الحرام...

يؤكد أهل التربية الروحية على موضوع اللقمة الحلال الصافية؛ لأن اللحم إذا نبت من حرام صار لحماً لا يتقبل أنوار الله عز وجل؛ لذلك حرروا أموالكم أن تكون حلالاً صرفاً.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **((كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ))** [البخاري].

3- كثرة النوافل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**» [البخاري].

4- صحبة أهل القرب والحب:

هناك دراسة تقول: إن أكثر من ينال جائزة نوبل هم أصدقاء لأناس نالوها سابقاً.

هناك شيء اسمه محاكاة تنافسية فترى الصديق يريد أن ينافس صديقه، وكذلك إذا صاحبت أولياء الله عز وجل وصاحبت أهل الحب والقرب وأحببتهم أخذوا بك باتجاه العلم اللدني.

تعالوا لنجتهد بكثرة ذكر الله تعالى، وحفظ الجوارح عن المحرمات، وبالإكثار من النوافل، وصحبة أهل الحب والقرب عسى أن نكون من أصحاب العلم اللدني.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.